Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312
مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر
المجلد 09 عدد 02 جوان2021 صفحة من : 78 / 90

التراث الأدبي و أهميته في الأدب العربي الحديث ونقده.

"Literary heritage and its importance in modern Arabic literature and its criticism

المؤلف الأول[1]* مليكة بن قومار
كلية الآداب واللغات– جامعة غرداية– الجزائر benkoumar.malika@univ-ghardaia.dz

معلومات المقال
تاريخ الاستلام : 16 /01/ 2021 .
تاريخ القبول : 15 /04/ 2021 .
الكلمات المفتاحية
التراث، أنواع التراث، الأدب النقد.

ملخص Abstrac
أثارت قضية التراث في الواقع العربي منذ الستينات جدلا واسعًا في أوساط المفكرين والفلاسفة وتعددت تبعًا لذلك آراء وموقف حول أهميته التراث ودوره في بناء الفكر العربي، ومدى انعكاس ذلك الدور في الحياة العربية المعاصرة، ولم تقتصر مسألة التراث وما يتعلق بها من إشكالية الأصالة والمعاصرة على المفكرين والفلاسفة فحسب، بل حتى الأديب العربي أصبح يستثمر التراث في كثير من أعماله الأدبية والنقدية المختلفة؛ رغبة في إنتاج تجارب فنية متميزة، وهذا ما جعل التراث جزءاً لا يتجزأ في تكوين المبدع الأدبي والنقدي، لكونه مكوناً من مكونات تجربته الأدبية والنقدية.

Key words (05)
Heritage, Types of literature, Criticism

Abstract
The issue of heritage in the Arab reality since the sixties has raised a wide debate among thinkers and philosophers, and accordingly there are many opinions and positions about the importance of heritage and its role in building Arab thought, and the extent of this role being reflected in contemporary Arab life. Philosophers not only, but even the Arab writer has become investing heritage in many of his various literary and critical works. A desire to produce distinct artistic experiences, and this is what made heritage an integral part in the formation of the literary and critical creator, as it is a component of his literary and critical experience

[1] المؤلف المرسل : مليكة بن قومار

التراث الأدبي و أهميته في الأدب العربي الحديث ونقده.

"Literary heritage and its importance in modern Arabic literature and its criticism

مقدمة:

إن التراث ضروري في بناء الحضارات، ومهم في خلق التنوع الثقافي، كما أنه جدار قوي للتصدي لمحاولات العولمة في تمييع هوية الشعوب وتنوع ثقافتها، كما يعزز الحوار بين مختلف الثقافات إضافة على ذلك فهو مليء بالمعرفة والمهارات التي تناقلتها الأجيال منذ القدم، لذلك وجب الحفاظ عليه بكل أنواعه وتفسيره في إطار علمي ومنطقي، حتى يأخذ دورًا بارزًا في التطور الاجتماعي للدول وبناء المجتمعات .لذا حظي التراث الأدبي العربي، باهتمام الأدباء والمفكرين، من مجالات معرفية مختلفة، مما استلزم إعادة قراءته والتفكير فيه، بشكل دائم وجديد؛ لأنه يشكل الوعي بالذات والهوية، والمستقبل الأمر الذي جعل تحديد مفهومه، يختلف باختلاف التوجهات، والاهتمامات.

إن توظيف التراث الأدبي كان له دور كبير في الاستفادة من الخامات التراثية في الأعمال الأدبية وشحنها برؤى فكرية جديدة لم تكن موجودة في نصوصها الأصلية الأولى، والمتاحة بأشكالها فنيا وجماليا، وتتنوع طرق هذه الاستفادة بين تقنيات المحاكاة والاستدعاء والاستلهام، والتي تعني التعبير عن التراث، أما التوظيف فيعني التعبير به، حيث ينصبغ الملمح التراثي بملامح جديدة – حسب رسالة المبدع ومقصديته – متراسلًا مع شجونه وقضاياه، محققاً بذلك هدفاً مزدوجاً؛ فهو يثري المعطيات التراثية التي استعارها فيصبح النص تراثياً معاصراً في الوقت نفسه، بحيث لا يتمثل المعطى التراثي فيه كما هو بل يتراءى بحياء، بوصفه رمزاً كلياً يوحد بين التجربتين، ويعبر بفاعلية عن الواقع المعاصر، فمرحلة توظيف التراث، هي مرحلة تتجاوز أنماط إحيائه واستلهامه والتعبير عنه، إلى التعامل معه فنياً، فيستوعب الأديب الدلالة الكلية للموروث أولاً ثم يستثمرها ويوظفها مازجاً بينه وبين الواقع المعاش.

وقد زاد الاهتمام بالتراث في العقود الأخيرة بصورة ملحوظة، فتعددت قراءاته ومفاهيمه وتوظيفاته وكثر التأليف في إحيائه واستلهامه في شتى مجالات الفن والإبداع؛ بحثًا في ثناياه عن قيم أصيلة تكون مصدر إلهام للمبدعين في إنتاج تجارب فنية متميزة. وبناء على ما ذكر أردنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نكشف عن أهمية التراث ودوره في الأدب العربي الحديث ونقده، انطلاقا من الإشكاليات التالية:

–ما هو مفهوم التراث؟ ماهي أنواع التراث؟.

–كيف تتجسد أهمية التراث الأدبي في الأدب العربي الحديث وفي النقد؟.

وقد اخترنا في هذا البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لأنه الملائم والأنسب لذلك.

1-مفهوم التراث:

أ-لغة: جاء في معجم" لسان العرب" ل" ابن منظور": « الوِرْثُ والوَرْثُ والإراثُ والوراثُ والتُراثُ واحد والميراثُ أصله مِوْراثٌ انقلبت الواو ياء كَسْرٍ ما قبلها والتُراثُ أصل التاء فيه واو. ».[1]

« والتُراثُ والإرثْ والميراثُ: ما وُرِثَ ، وقيل: الوِرْثُ والميراثُ في المال.

الإرْثُ في الحسب.

والتُراثُ ما يخلقه الرجلُ لِوَرَثَتِهِ، والتاء فيه بدل من الواو. »[2]. « وفي حديث الدعاء لرسول الله(ﷺ): إليك مآبي ولك تراثي»، فيعلق عليه" ابن منظور" بقوله: ما يخلفه الرجل لورثته، كما ذكر" ابن منظور "في موضع آخر معنى للتراثُ وهو أنه يقال في إرث صدق، أي في أصل صدق، وهو على إرث من كذا على أمر قديم توارثه لآخر عن الأول ».[3]

وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عن التعريف الذي ورد في قاموس" تاج اللغة وصحاح العربية": «الميراثُ أصله مِوْراث، انقلبت الواو إلى ياء لكسرِ ما قبلها والتراثُ أصل التاء فيه واو ويقال: أورثته الشيء أبوه، وهم ورثة فلان، وورّثه توريثا أي أدخله في ماله على ورثته وتوارثوه كابر عن كابر».[4]

من خلال هاذين التعريفين نرى أن كلمة" تراث" اقتصرت على ما يورث من مال فقط. وهذا ما ورد في معجم "الوسيط": « ورث فلانا المال منه وعنه، يقال ورث المجد غيره، و ورث أباه ماله ومجده، ورثه عنه فهو وارث وَرَثَة».[5]

ويتضح مما سبق لنا أن المعنى اللغوي للفظة "التراث" مأخوذة من مادة(ورث) فالتراث هو ما يخلفه الفرد من آثار سواء كانت هذه الآثار مادية أو معنوية.

ب-اصطلاحا:

يختلف المفهوم الاصطلاحي للتراث عن المفهوم اللغوي، فقد اكتسبت هذه الكلمة في الخطاب العربي المعاصر معنى آخر، فصارت تدل على الموروث الثقافي. وفي هذا الصدد نجد" الدكتور رمضان الصباغ" يعرف التراث: « بأنه الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم، القصص الحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم، وما عبّر عن هذه جميعا من عادات أو تقاليد أو طقوس. »[6].

ويعرفه "محمد عابد الجابري" كذلك في قوله: « التراث العربي كغيره من التراث أثر وتأثير بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديما وحديثا، وزاد في اختصابه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية. »[7].

يمكن القول بأن التراث هو كل ما ورثناه من قيم وآداب وفنون وأفكار وهو كل ما قدمه الإنسان منذ القدم، أو تركه الجيل السابق للجيل اللاحق، فهو لا يخرج عن نطاق المعنى الموروث، لأنه نابع من مفردات التفكير العربي، كما أصبح التراث معبرا على جميع ما يخص الإنسان العربي ماديا ومعنويا، فشمل بذلك: « العادات والتقاليد والتجارب والخبرات والفنون، إنه جزء أساسي من موقفه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي» [8]، فهو إذن جزء من مكونات شخصية الإنسان ونفسيته، وهو كل ما تعلق بالإنسان في ماضيه البعيد والقريب.

ما نستنتجه من هذا المفهوم، هو أن التراث حصيلة تلك التأثير بين الحضارات والذي يحفظ استمرارها. أو بعبارة أكثر وضوحا: «إن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه» [9]، أي أن التراث هو الدعامة والركيزة الأساسية فلا يستطيع الإنسان التخلي عنه لأنه يمثل روح الأمة وحاضرها.

-التراث في الفكر العربي المعاصر:

مع نزول " نابليون بونابرت" إلى الوطن العربي، بمصر خاصة، إذ جلب معه الكثير من العلوم والفنون والآداب وترجمها إلى العربية، فتأثر بها العرب وكتبوا على منوالها وتجاوبوا مع التطورات وأعجبوا بحضارة الغرب وأحبوها ودعوا التطور والازدهار وأخذوا أشكالا وأساليبا جديدة تناسب روح العصر فهذا التغير مس جميع مناحي الحياة، خاصة الفكرية والأدبية كالشعر العربي وكان هذا الأخير سببا وجيها لظهور طائفة من الشعراء حملت على لوائها العودة إلى القديم وإحيائه من جديد « ومن هنا كان الإحياء ضرورة عامة وفي الشعر خاصة، كلما كان الاتصال بالآخر المتفوق ضرورة في العلوم والفنون والثقافات بعامة، وفي مناطق الإضافة الحضارية بخاصة، و قد دفع ذلك كله المثقفين والفنانين والأدباء على تحقيق الهوية الحضارية العربية في مواجهة حضارة الآخر الغازي، دون فقد الاتصال بعناصر التطور عنده »[11].

و يتضح أمامنا أن الأدباء سعوا إلى العودة إلى أصولهم وجذورهم الثقافية والفكرية والحضارية في الشعر، بحيث اعتبروه مثالا يقتدى به و واجهوا به الخطر الغربي الذي يحدق بهم بحضارته وهويته ومع ذلك فإن العرب لم يقطعوا وصالهم به من عناصر التقدم والتطور أنها ضرورية في العلوم والفنون.

وبذلك أصبح التراث بأبعاده المتعددة المرجع والنموذج المحتذى أيضا في الشعر. وقد وضع ذلك من إرجاع طريقة القدماء الشعرية في النص الشعري الإحيائي في المعجم،والأسلوب والبديع، والموسيقى والتصوير والترتيب على ذلك أن التراث قد تحول لبنات في بناء الشعر الإحيائي في كل مرحلة في القرنين التاسع عشر والعشرين، وإن كان الإحيائيون العشرين قد فتحوا

النص الشعري إلى آفاق جديدة، مثل التمثيلية الشعرية والمسرحية الشعرية والقصص الشعري ما لم يتمكن منه القدامى بسبب سيطرة عامود الشعر ومذهب عامود الشعر على السواء.[12]

وقد عد التراث طريقا واضحا للعبور، فكتب الشعراء الإحيائيون قصائدهم على طريقة القدامى بحيث استقوا ألفاظهم وكلماتهم ووظفوها في أشعارهم وأساليبهم، كالبديع والصور الفنية، الموسيقى ...الخ، فإذا اطلعنا على قصائدهم نحس بأننا إزاء نص قديم في ثوبه وشكله.

ظهرت الازدواجية الثقافية التي يعنى بها التأثر بالعربي والقديم، وأخذ أنماط غربية أوربية جديدة وقد ساعدتهم هذه الازدواجية بالاهتمام بمشاكل العصر ومحاولة فهم مسائلها والتطرق إليها، كما سعفت حظهم في الانتفاع بمنجزات الغير في السلم والحرب، لتثبيت هويتهم ومعالجة المشاكل، وسار هذا الحال حتى مجيء" الرافع الطهطاوي" الذين حمّل رسالته الدعوة إلى ربط الشاعر بالتراث القديم وفحول شعرائه.[13]

يعد "سامي البارودي" حامل لواء نهضة الشعر القديم من جديد والدعوة للكتابة على منواله والتمسك به في أساليبه ولغته وأغراضه، وقد بيّن خصائص وطريقة نظمه للشعر إذ يقول: « تكلمت كالماضيين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلم»[14]. نلمح من خلال هذا المقطع تشبت" البارودي" بحبل القدامى والتمسك به حتى لا ينقطع، لأنهم تركوا ميراثا يجب الحفاظ عليه وصيانته من الاندثار "فالبارودي" قال الشعر كما اعتاد الماضين قوله.

وحسب" البارودي "أن التراث العربي يشكل منهلا للشاعر الإحيائي، يستقي منه ألفاظا وتعابيرا لبناء قصيدته من جهة، ومن جهة أخرى فإن عناصر الذات والعصر والمكان كلها عناصر تفتح مجالا للشاعر أن يتفتَّح عن أدب الغير وثقافته، ويضيف أشياء جديدة لم يألفها التراث العربي فوجهة نظر "البارودي" بخصوص علاقة الشاعر بالتراث امتد أثرها إلى الإحيائيون وتفتحوا على الحضارة الأوربية وتعلموا لغاتهم إذ وجدوا أنفسهم أمام ظهور المذهب الرومانسي الذي تأثر بالمنبع الأوربي في فلسفته وأدبه مع العناية بالتراث القديم، حفاظا عليه من ضياع هوية وأصالة العربية الإسلامية بتاريخه وحضارته وثقافته ولغته، فالتأثر بالغرب الأوروبي كان يختلف بين الرومانسيين والإحيائيين رغم أنهم عاشوا في نفس البيئة والعصر.[15]

حافظ الإحيائيون على الشكل القديم وأضافوا أغراضا وأنواعا أدبية شعرية، فكتب« "شوقي" ثمانية مسرحيات شعرية بدأها مبكرا جدا سنة 1893 م، بمسرحية "على بك الكبير" و مسرحية "الست هدى"، ليجاري التفوق الأوربي في هذا النوع الأدبي وليكمل الناقص في الثقافة العربية القديمة والحديثة وليقدم برهانا على قدرة العربية والشعراء العرب والنص الشعري العربي على مجاراة القديم والجديد على السواء، بل ويثبت لنفسه تفوقا على كل ما فات في المذهب الكلاسيكي والإحيائي في كل مراحلهما، وليؤكد على أن الإحياء يمكن أن يجاري الرومانسي أو يتفوق عليه».[16]

2-أنــواع التــراث: ينقسم التراث إلى عدة أنواع منها:

أ-التراث الديني:

من الظواهر الفنية التي ميزت الشعر العربي المعاصر، ظاهرة توظيف التراث الديني، إذ يعد مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا أدبية، فالأعمال الأدبية عندهم محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، كما كان الكتاب المقدس مصدرا للشعراء الأوروبيين حيث استمدوا منه شخصياتهم ونماذجهم الدينية والقرآن الكريم أيضا كان مصدرا للشعراء المسلمين حيث استمدوا منه الكثير من الموضوعات التي كانت محورا لأعمال أدبية عظيمة.[17]

نستنتج من خلال هذا التعريف أن التراث الديني هو مصدر أساسي في استلهام العبر والحكم حيث يعكف الأدباء على استنباط قصصهم من القرآن الكريم، ومن ثم يوظفونها في أعمالهم الأدبية.

كما أعطى الشعراء والأدباء للشخصيات الدينية دلالات عميقة لها صدها في المجتمع المعيش حيث تطابق أفكارهم وموضوعاتهم مثل شخصيات وقابيل القاتل.[18]

ب-التراث التاريخي:

يعتبر التراث التاريخي مادة خصبة عكف الأدباء على النهل منها محاولين إسقاط الواقع على أحداث تاريخية، لأن هذه الأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فالتاريخ ليس وصف لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي.[19]

كما تفاوت توظيف التاريخ من مبدع لآخر كل حسب طريقة فهمه له و رؤيته للعالم من خلاله فالتراث التاريخي لا يزول بمجرد انتهاء وقائعه، فقد استلهمت منه العديد من الأعمال الأدبية، وكان أرضية خصبة ساعدت الأدباء في إيصال أفكارهم، ومن هنا كان التوجه نحو توظيف التراث التاريخي في الأدب العربي لأغراض سياسية تتمثل أساسا في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وهذا ما جعل الكتاب العرب ينقبون على تاريخ العرب القديم لبعثه وإحيائه، فقد كان هدفهم الأسمى هو إحياء تاريخ الأمة، والإلمام بماضي الأجداد وبطولاتهم وأعمالهم العظيمة.[20]

ج-التراث الأسطوري:

من أهم الانجازات التي حققها الشاعر العربي المعاصر عامة، هو التعبير بالأسطورة التي أثرت تأثيرا شديدا في بنية الخطاب الشعري، لهذا فصلة الشعر بالأسطورة قديمة فالشاعر في العصر الحديث عاد ليستعين بالأسطورة في التعبير عن تجاربه، تعبيرا غير مباشر فتذوب الأسطورة في بنية القصيدة وتصبح جزءا من تركيبها، وهذا ما يمنحها كثيرا من السمات البارزة في بقائها و إنقاذها من المباشرة والتقريرية والخطابية. [21].

يعد هذا المصدر من أوثق مصادر تراثنا صلة بالتجربة الشعرية لذلك فقد ظلت الأسطورة موردا سخيا للشعراء والأدباء في كل عصر، يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم ومشاعرهم. ويعد التراث الأسطوري، أحد المصادر الفاعلة للمبدعين لما لديه من أهمية السير الحسن للإبداع الأدبي، حيث يضمن له الاستمرارية والتنقل من جيل إلى جيل آخر، ومن فترة إلى فترة أخرى حسب ما يتطلبه واقع الحياة ومجرياتها، فالتراث بحد ذاته تطور بحسب تطور الظروف المعيشية وتطور الذهنية البشرية، فإذا أردنا أن نعرف راهنها فينبغي علينا أن نعود إلى الوراء، وننقب بأفضل الطرق عن أصولها وماضي أسلافها بدقة وإتقان، لكن هناك مجتمعات حتى وإن غيرت دينها واعتنقت دينا آخر، إلا أنها أبقت على الأساطير حية مع تطويعها وجعلها تتناسب بعض الشيء مع المعتقد الجديد، كما حدث في شمال إفريقيا حين اعتنق سكانه الإسلام، ولم يمنع ذلك من استمرار أساطير تدعمه .

إن العلاقة بين الأسطورة والتراث هي علاقة الجزء بالكل ذلك أن التراث هو كل ما يتوارثه الأجيال سواء كان ماديا أو معنويا، والأسطورة هي جزء من تراث الجماعة الإنسانية أينما وجدت، لأن الأسطورة تراث والتراث هو نتاج الحضارات في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن وتراث شعبى وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي، وكثير من هذا التراث قد سجله أجدادنا[22]

د-التـراث الأدبي:

يتميز التراث العربي بالاتساع والشمولية والانفتاح على الأجناس الأدبية كالرواية والقصة والشعر والمسرح، ولا شك أن التراث الأدبي نال حظه وحصته من الأدب العربي وهذا ما نجده شائع عند كثير من كتاب الأدب فنراهم يوظفون التراث الأدبي بشكل هائل إلى درجة أننا لا نكاد نعثر على كتاب، إلا وهو يحمل في طياته تراث أدبي عريق.

ويسعى الشعراء من خلال التراث الأدبي إلى التعبير عن ذاتيتهم وما يعتريها من مشاعر وأحاسيس، فتمثل الذات منبع التجارب الشخصية، من خلالها تتدفق ينابيع التجارب وتتجسد في الواقع، فالتراث الأدبي له ارتباط وثيق بالشعراء، إذ تميزت الشخصيات عبر العصور باهتمام بالغ من قبل الشعراء، خاصة التي ارتبطت منها بمسائل محددة ووقائع معينة، وعدت فيما بعد كرمز في جميع الميادين سياسيا، اجتماعيا، عاطفيا...، فأصبح الشعراء يستلهمون شخصية تراثية لارتباطها بقضية ما، ولتلاؤمها مع طبيعة المسألة التي يعبرون عنها.[23]

فمن الطبيعي أن يكون التراث الأدبي هو أثر المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس الأدباء والشعراء ومن الطبيعي أن تكون شخصيات هؤلاء الأدباء من بين الشخصيات اللصيقة بنفوسهم [24].

يمكننا القول أن التراث الأدبي قريب من نفوس الأدباء والشعراء، لأنه يمثل الواقع المعيش ويصور لهم مسرح الحياة سواء كانت سعيدة أو حزينة، كما أنه يعبر من خلاله الكاتب أو الشاعر عن ذاته ويعكس له حياته الطويلة، ولعلى ليالي" ألف ليلة وليلة" لها حضورها المميز والمكثف في كتب الأدب العربي، خاصة كتب التراث الأدبي ولدى معظم الكتاب والشعراء الذين سخروا طاقاتهم الإبداعية من أجل توظيف هذا التراث الغني والمُحمّل بالدلالات والرموز والكشف عن جمالها الفني الساحر الذي يتماشى مع واقعهم.

3-أهمية التراث في الشعر العربي:

إن للتراث أهمية بالغة لدى الشاعر، فهو ثروة لا تنتهي وكنز لا يفنى فلا يستطيع الشاعر الاستغناء عنه ولا يمكن أن يكتب دون الرجوع إليه، إنه نواة أساسية يولد فيه فنه وينشأ حتى يصل إلى ذروته.

فالشاعر لما ينظم قصيدته، بالضرورة ستكون ذهنه معارف مسبقة أستقاها من قراءته الكثيفة لنتاج سابقيه، والشاعر النحل هو الذي استطاع التمسك بالتراث وتثبيته حفاظا عليه من الاندثار والضياع أمام تحديات العصر، فالشعر لا ينشأ من عدم، إنما هو مهنة وصناعة يتقنها الشاعر عن طريق الدربة والممارسة عن الأقدمين، ولكي ندرك مدى حاجة الشاعر إلى التراث والتلمذة له والإفادة منه لابد من تناول هذين المجالين، ونعني بذلك حاجة الشاعر لثقافة خاصة وأخرى عامة لذا ذهب الشّاعر العربي المعاصر إلى خلق علاقات مثاقفة واعية للتراث، وطالب بضرورة الانتماء إلى الشعريّة العربية وقراءة التراث قراءة حداثيّة من خلال العمل على تفعيل هذا التراث، بوصفه معطى حضاريًّا وشكلًا فنّيًّا في بناء العملية الشعريّة.

فالشاعر عندما يبدع، يكون ذلك بسبب حمولة فكرية ومخزون معرفي ضخم تستسيغه ذاكرته القوية من قراءاته الكثيفة للشعراء السابقين له، إذ يقول الأصمعي: « لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، وسمع الأخبار ويعرف المعانى وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله، والنحو ليصلح له به لسانه وليقيم به أعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم» .[25]

والشعراء المحدثون يرون من الضرورة موسوعية الأديب، إذ عليه أن يقرأ منجزات سابقيه وإبداعاتهم المختلفة كي يتحصل على وعاء معرفي ثري، يساعده على إنماء أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وهذا ما تنبأه" العقاد "حينما يذكر ثقافة السابقين بأنها ثمرة تعين لمعرفة الحياة التي توسع الفكر، فحسبه أن الشاعر ليس بمقدوره أن يقاسم الشعور مع بني عصره وإنما عليه قبل كل شيء أن يتعرف على عصور سابقة، فالشعراء الذين ينتمون إلى نفس العصر من الصعب أن يتفقوا، والثقافة العامة لا تنبثق من فراغ، ولا تأتي من عدم إنما لها مرجعيات من خلالها يستطيع الشاعر أن يكون ثقافته وهذه المرجعيات هي ثلاثة أولها: ظروف البيئة الاجتماعية التي تتضمن الظروف الاجتماعية والعادات الاجتماعية والفضائل والسلوكيات والخصال التي تداولت عبر الأجيال، وثانيها: ظروف البيئة الطبيعية، لأن لها تأثيرا جليا على الصفات الجسمانية للإنسان، وكذا صفاته الخلقية التي تنطبق على ملامحه وصورته، فتثير وجدانه من خلال الطبيعة بجمالها وبهائها وألوانها وأشكالها وثالثها: ظروف اللغة وطبيعتها لأن اللغة تمثل جزءا مهما للشاعر فهي مخزون يتوارثه الأجيال بأصولها ومكوناتها، وصورة حية إذ توحد بين الشعراء بفضل عامل الاحتكاك، وتركيب الأدباء لها يساعد الناشئين في الإحساس بروح لغتهم الذي يظهر في إبداعاتهم.[26]

ولعل موقف الشاعر المعاصر من التّراث قد مدد القيم الجمالية للتجربة الشعريّة، حيث أصبح "التراث الإنسانيّ لدى الشاعر المعاصر جانبًا من تكوينه الشعري، ذلك أنّ تجربة الشاعر المعاصر هي محاولة جاهدة لاستيعاب الوجدان الإنسانيّ عامة من خلال إطار حضارة العصر، وتحديد موقف الشاعر منه كإنسان معاصر، فاستخدام الشّاعر المعاصر للتراث يضفي على عمله الشعريّ، عراقة وأصالة ويمثّل نوعًا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعريّة نوعًا من الشّمول والكلّيّة، لأنّ الحداثة الشعريّة الفاعلة هي التي ترتبط بالنظرة إلى العصر، ومستجداته من جهة، وإلى التراث وكوامنه التّعبيريّة القادرة على الاستمرار من جهة أخرى.[27].

4- التراث في النثر العربي الحديث:

لقد حظي التراث الأدبي بعناية كبيرة لدى كتاب النثر، ووظفوه في كتاباتهم المختلفة من خلال تداخل النصوص الأدبية المختارة من شعر ونثر، بحيث تكون هذه العناصر التراثية منسجمة مع النص، ودالة على الفكرة والحالة التي يجسدها الكاتب، وقد يتضمن النص تناصات أدبية متنوعة في أجزائها وأشكالها، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة بالمعنى والمبنى، وهذا التناص يدخلنا في عالم التضمين والاحتمال.[28] ضف إلى هذا كله حكايات" كليلة ودمنة "فهي لا تقل أهمية عن ليالي" ألف ليلة وليلة " فهي الأخرى لها ذوقها الخاص الفني والجمالي الذي استقطب الأدباء والكتاب حيث نجدهم وظفوها على شكل رموز ودلالات، ومن بين أنواع التراث الأدبي نذكر: الرواية، المقالة، القصة، المثل الحكمة.....الخ.[29]

4-التراث والنقد العربي الحديث:

تعود نشأة النقد العربي إلى مراحل تاريخية متقدمة تبدأ بالمرويات القديمة المتعلقة بحكومات الجاهلية، ثم بالآراء الفقهية المتصلة بالشعر والبيان التي عبر عنها النبي(ﷺ) وخلفاؤه من بعده لتتطور إلى علم بالشعر فنقد أدبي وصل مع" قدامة بن جعفر" إلى وصل النقد بالمنطق، ومع "الصولي" إلى ربط الأدب بشروطه الاجتماعية والحضارية، ثم مع" حازم" إلى تقدم المعرفة بالنفس. لكن الركود الذي خيم على مدنية العرب والمسلمين، نال النقد الأدبي بنفس القدر الذي عرفته فنون الأدب وألوان المعرفة الأخرى. ولم يكن مؤسسو النقد الأدبي العربي الحديث ليستطيعوا إهمال مثل هذه الخلفية التاريخية الطويلة التي استند إليها الأدب، حين عقدوا العزم على إعداد العدة لرأب حلقات المعرفة النقدية التي انقطعت، واستئناف النظر في مسائل الأدب الإحيائية التي أثارها بقوة توجه الرواد نحو الآثار الأدبية يستحيونها، ويستلهمون روحها، ويستعيدون مناهلها الروحية والجمالية التي بدت وكأنها الأساس الذي لا ملجأ عنه لبعث النشاط الإبداعي العربي إلى الحياة.

لكن النقد العربي الحديث استقل عن الأدب القديم ونقده، بما بدأه من البناء على أساس مباينة استمدها من احتلاله على آداب الأوروبيين القديمة والحديثة، فكانت الأنواع الأدبية ذات النزعة الموضوعية، وازدهر الاهتمام بالنثر، فاحتل المكانة الأولى من اهتمام العرب بدلا من الشعر وأضحى أساس ديوانهم الجديد، ومع هذا التميز والاستقلال بقي للنقد ميل قوي نحو الشعر وقضايا كتابته وتذوقه التي قفزت بالتراث إلى واجهة النقد ليصبح مصدرا رئيسا تستمد منه المقاييس والقواعد التي يؤسس الناقد عليها أحكامه.

كما عرف النقد العربي الحديث محاولات عديدة أكدت حرص الناقدين المعاصرين على رصد ظاهرة التراث والتعرف عليها ضمن سيرورة الحياة الأدبية والنقدية، سواء تعلق الأمر بتجارب الكتابة الشعرية والنثرية، أو بجهود الناقدين واللغويين، والثقافة والاجتماع الذين نشأت ضمنهما تلك التجارب والجهود وعرفت الرعاية والازدهار، أو الإهمال والفشل وربما شنت عليها حرب لا هوادة فيها من قبل الخصوم. (30)

إن تأسيس النقد العربي الذي بدأ مع بداية تأسيس الأدب الحديث وأنواعه الأدبية المختارة والمقتبسة يحيلنا على تصرف الناقدين إزاء التراث من موقعه في الواقع التجريبي باعتباره مجموعات ضخمة من النصوص والكتب. فلقد كانت هذه الموروثات الكثيرة محل تعريف انتقائي، قام بمهمة تقديمها إلى مستهلكيها اعتمادا على نوعها الأدبي أو استنادا إلى ملاءمتها– التي يحددها المتصرف –لمطالب الذوق الجمالي الجاري إنشاؤه، كما كانت من جهة أخرى موضوع تفكيك مقارن لمعانيها بشرح غوامض لغتها، وبناء صورة تلك المعاني اعتمادا على الصورة العامة الكلية التي رُسمت للعصور القديمة المختلفة، وهذه المهمة بدأها الرواد من اللغويين والنقاد، ولم يكن النص فيها مصدرا لمعطيات اللغة والبلاغة التأسيسية وحسب، بل كان وسيلة لإعادة الإنتاج الأدبي والفني الإحيائي.

كما يحيلنا تأسيس النقد على الجانب الثاني من سلوك الناقدين إزاء التراث انطلاقا من موقعه في العقل، أي انطلاقا من موقعه في بنية الذهن الناقد والذهن القارئ، فقد كان التراث في النفوس معطى وجدانيا، ومناسبة لإظهار ما بداخل الذات – المقهورة المتضايقة بعالمها وما يعج به من أوجه القصور –من توق وتطلع نحو تحرير النفوس من ضغط تلك المشاعر وتراكم تأثيرها السلبي لكنه كان في الأذهان معطى فهم وتفكير في الوقت نفسه أي أنه كان ثمرة تجريد يبرز فيه جهد الذات التي تتأمل محيطها وعالمها الداخلي وشروط وجودها، ولعل ذلك التوظيف هو ما جعل دلالات لفظه" تراث "تتجاوز حدود تمثيل الموروث ووجوده المادي، لتعبر عن تمثيل أزمة الذات وبنائها ومعرفتها لذاتها من جهة، وللواقع في شكله الكلي من جهة ثانية، ولعل هذه الطبيعة المخصوصة، التي أضفاها الذهن على التراث باعتباره تمثيلا أو كيانا تجريديا ترسم لنا هذا الضرب من التداخل بين تمثيل الموضوع، وتمثيل الذات التي تنهض بمهمة التمثيل المذكورة، وهذا التداخل هو ما يجعل عملية التعميم تصطدم بعنصر غامض يحول دون تحويل مفهوم التراث إلى مفهوم واضح الحدود، لأن دلالته على الموروث، وعلى حياة الوارث المضطربة، وتفكيره المشوب بعناصر هذا الاضطراب، تجعل حدوده الدلالية مفتوحة، وهو ما لا يفيد في بقائه مستعملا بدقة في عمليات إنتاج واستخدام المعارف.

وقد مثل النقد الأدبي العربي الحديث واحدا من أكثر الحقول المعرفية غنى بحضور المواد الموروثة ضمن نصوصه حضورا ماديا مباشرا، أو بصورة مضامين مشروحة أو مؤولة، أو محللة أو مفسرة وحضور ظاهرة التراث حضورا اجتماعيا أخذ صورة موقف واقعي وتاريخي معقد في آن واحد، ثم حضور مفهوم التراث الذي أخذ شكل أداة معرفة تنهض بتمثيل الظاهرة في الذهن، والنطق بمعادلها أو ملفوظها في الخطاب، وتداولها ضمن وظائف اللغة.[32]

خاتمة:

وما نخلص إليه في دراستنا لموضوع التراث الأدبي وأهميته في الأدب الحديث ونقده، والتي كان الهدف منها تبيين دور التراث وأهميته في النهوض بالفكر العربي عامة والحركة الأدبية والنقدية بوجه خاص، وبالتالي فإن أهم ما توصلنا إليه مايلي:

– إن التراث هو كل ما ورثناه من قيم وآداب وفنون وأفكار، وهو كل ما قدمه الإنسان منذ القدم، أو تركه الجيل السابق للجيل اللاحق، وهو لا يخرج عن نطاق المعنى الموروث.

–ينحصر التراث في عدة أنواع منها: التراث الديني، التاريخي، الأسطوري والأدبي، كما أنه المضمون الذي تحمله الكلمة داخل الخطاب الأدبي.

–تمثل المصادر التراثية، رصيدا لا ينضب من الطاقات التعبيرية التي سرعان ما تسهم في تنمية الإبداع الفكري الأدبي، وتوجيهه وجهة ترقى إلى مرتبة تجعله قادرا على تحقيق توافق تام بين الماضي بمنجزاته والحاضر بآفاقه، وحتى ملامسة المستقبل برؤية استشراقية واعية.

–التراث هو القيمة الثابتة عند كل الأمم التي تبني منه حاضرها ومستقبلها لذلك ينهل منه المبدعون تجاربهم الفياضة بالقيم المبثوثة في نفوسهم، ليعبروا من خلالها عن وجودهم ووجود حاضرهم، وليقيموا الصلة بين الماضي والحاضر.

– يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجماعي ومده بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع.

–لقد مثّل حضور التراث في النقد بأشكاله المتنوعة حقلا معرفيا غنيا في مجال الفكر الأدبي.

الهوامـــش:

(1):ابن منظور: لسان العرب، دار صادر– بيروت، لبنان، مجلد 2 ، ط 2، 1992، ص201.199.

(2): المصدر نفسه، ص201.

(3): المصدر نفسه، ص202.

(4): أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية– بيروت، لبنان، ط 1، ج1، 1419هـ/1999م، ص437.

(5): ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، معجم الوسيط، دار الدعوة-اسطنبول تركية، ط2، ج1، 1380هـ/1960م، ص1024.

(6): رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر(دراسة جمالية)، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر-الإسكندرية، ط1، 2002 م، ص368.

(7): محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة، المركز الثقافي، الدار البيضاء– المغرب، (د ط)،(د ت)، 1992م ص14.

(8): جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين-بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص63.

(9): سيد علي إسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، مؤسسة المرجاح الكويت،(د ط)، سنة 2000 ، ص408.

(10): محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب-دمشق (د ط)، 2002 ، ص18.

(11): مدحت الجيار، الشاعر و التراث دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، دار الوفاء لي دنيا الطباعة و النشر-الإسكندرية، (د ط)، 1998م ، ص190

(12): المرجع نفسه، ص ن.

(13): المرجع نفسه، ص191

(14): المرجع نفسه، ص192

(15): المرجع نفسه، ص196.

(16): المرجع نفسه، ص197

(17): علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي-القاهرة (د ط)، 1997م، ص57.

(18): ينظر، المرجع نفسه، ص75.

(19): المرجع نفسه، ص120.

(20): ينظر، صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين-قسنطينة-الجزائر، ط2 ، ج1، 2007م ص139.

(21): خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، اتحاد كتاب العرب،(د ط)،2000م، ص89.

(22): ينظر، محمد لخضر زبايدية، من أعلام النقد العربي الحديث، دار الفكر المعاصر-باتنة-الجزائر، 2003م ط1، ص146.

(23): علي عشري زايد، مرجع سابق، ص170.

(24): ينظر، المرجع نفسه، ص138.

(25): الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: د .محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل- بيروت ، ط 1 ، 2005م، ص46

(26): محمد علي عبد الخالق ربيعي، أثر التراث العربي القديم في الشعر الغربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، (د ط)، 1989م، ص192.193

(27): ميادة محمد دياب، التراث الديني في شعر فايز خضور قدّاس الهلاك (نموذجًا)، مجلة أوراق الثقافية، بيروت-لبنان، 19 يوليو 2019م، www.awraqthaqafya.com

(28): أحمد الزغبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون، عمان، ط 1، 2000م، ص5

(29): علي عشري زايد، مرجع سابق، ص 171.

(30): محمد الطيب قويدري، مفهوم التراث في النقد العربي الأدبي الحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه دولة، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2001/2000م، ص105.

(31): المرجع نفسه، ص110.

التراث الأدبي و أهميته في الأدب العربي الحديث ونقده.

"Literary heritage and its importance in modern Arabic literature and its criticism